# أمير الشعر في العصر القديم[1]

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

اتوجه في إفراد شاعر او كاتب من الماضين بالتأليف ، ان تصنع كأنك تُعيده الى الدنيا في كتاب وكان انساناً ، وتُرجمهُ درساً وكان عُمراً ، وترده حكاية وكان عملاً ، وتنقله بزمنه الى زمنك ، وتعرضه بقومه على قومك ، حتى كأنه بعد ان خلقه الله خلقة إنسان يخلقه العقل خلقة تفكير

من اجل ذلك لا بدَّ ان يتقصّى المؤلف في الجمع من آثار المترجَم وأخباره ، وان يحمل في ذلك من العناية ما يحمله لو هو كان يجري وراء مَلَكيٍّ من يترجمه لقراءة كتاب أعماله كتابه في يديها .... ولا بدَّ أن يبالغ في التمحيص والمقابلة ، ويدقق في الاستنباط والاستخراج ، ويضيف الى عامة ما وجد من العلم والخبر خاصة ما عنده من الرأي والفكر ، ويعمل على ان ينتج ما انتهى اليه الماضي في أدبه وعلمه بما بلغ اليه الحاضر في فنه وفلسفته . وذلك من عمل العقل المتجدد ابداً والمترادف على هذه الحياة بمذاهبه المختلفة ، يشبه عمل الدهر المتجدد ابداً والمترادف بالليل والنهار على هذه الارض . كل نهار او ليل هو آخر وهو اول ، وكذلك العقول كلها آخر من ناحية وأول من ناحية

والتجديد في الادب انما يكون من طريقتين : فأما واحدة فابداع الاديب الحي في آثار تفكيره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان ، وأما الاخرى فإبداع الحي في آثار الميت بما يتناولها به من مذاهب النقد المستحدثة ، وأساليب الفن الجديدة . وفي الإبداع الاول ايجاد ما لم يوجد ، وفي الثاني اتمام ما لم يتم ، فلا جرم كانت فيهما معاً حقيقة التجديد بكل معانيها ولا تجديد الا من ثمة فلا جديد الا مع القديم

واذا تبينت هذا وحققته ادركت لماذا يتخبط منتحلو الجديد بيننا وأكثرهم يدّعيه سفاهاً ويتقلده زوراً ، وجملة عملهم كوضع الزنجي الدُّرور الابيض ( البودره ) على وجهه ثم يذهب يدعي انه خرج ابيض من أمه لا من الدلبة . . . . . فان منهم من يصنع رسالة في شاعر وهو لا يفهم الشعر ولا يحسن تفسيره ولا يجده في طبعه ، ومنهم من

---

(١) وضع الاديب محمد سالم سمك رسالة قيمة في امرىء القيس « امير الشعر في العصر القديم » تقع في نحو مائتين وخمسين صفحة سلك فيها مسلكا طريفاً وحلاها بمقدمة بليغة للاستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعي . نقس المؤلف المقتطف بنشر المقدمة وبعض ابحاث الرسالة فيها ضناً لرغبتنا

يدرس الكاتب البليغ وقد يأعده الله من البلاغة ومذاهبها واسرارها ، ومنهم من يجدد في تاريخ الادب ولكن بالتكذب عليه والتقحم فيه والذهاب في مذهب الخائفة ، يضرب وجه المقبل حتى يجيء مدبراً ووجه المدبر حتى يعود مقبلاً فاذا لكل طريق جديد . وينسى أن جديده بالصنعة لا بالطبيعة وبالزور لا بالحق

ألا إنَّ كل من شاء استطاع أن يطب لكل مريض لا يكلفهُ ذلك الاَّ قولاً يقوله وتلفيقاً يدبرهُ ، ولكن أكذلك كل من وصف دواء استطاع أن يشفي به ؟

وبعد فقد قرأت رسالة امرئ القيس التي وضعها الاديب السيد محمد صالح سمك فرأيت كاتبها — مع انهُ ناشيء بعد — قد ادرك حقيقة الفن في هذا الوضع من تجديد الادب فاستقام على طريقة غير ملتوية ومضى في المنهج السديد ولم يدع التثبت وإنعام النظر وتقليب الفكر وتحصين الرأي ، ولا تقصر في التحصيل والاطلاع والاستقصاء ، ولا اراهُ قد فاته الاَّ ما لا بد أن يفوت غيره مما ذهب في اهمال الرواة المتقدمين واصبح الكلام فيه من بعدهم رجماً بالغيب وحكماً بالظن

فان امرأ القيس في رأيي انما هو عقل يأتي كبير من العقول المفردة التي خلقت خلقها في هذه اللغة ، فوضع في بيانها اوضاعاً كان هو مبتدعها والسابق إليها ونهج لمن بعده طريقتها في الاحتذاء عليها والزيادة فيها والتوليد منها وتلك هي منقبته التي انفرد بها والتي هي سرُّ خلوده في كل عصر الى دهرنا هذا وإلى ما بقيت اللغة . فهو اصل من الاصول في أبواب من البلاغة كالتشبيه والاستعارة وغيرهما حتى لكأنهُ معنى من معاني اللغة لا رجل من رجالها . وكما يقال في زمننا في امم الصناعة : سيارة فورد وسيارة فيات ، يمكن ان يقال مثل ذلك في بعض انواع البلاغة العربية : استعارة امرئ القيس وتشبيه امرئ القيس

ولكن تحقيق هذا الباب واحصاء ما انفرد به الشاعر وتأريخ كلماته اليانية مما لا يستطيعه باحث وليس لنا فيه الا الوقوف عند ما جاء به النص

ولقد نبهنا في ( إعجاز القرآن ) الى مثل هذا إذ نعتقد ان اكثر ما جاء في القرآن الكريم كان جديداً في اللغة لم يوضع من قبلهِ ذلك الوضع ولم يجر في استعمال العرب كما اجراهُ ، فهو يصب اللغة صبًّا في اوضاعه لاهلها لا في اوضاع اهلها ، وبذلك يحقق من نحو الف واربعمائة سنة ما لا نظن فلسفة الفن قد بلغت اليهِ في هذا العصر ، إذ حقيقة الفن على ما نرى ان تكون الاشياء كأنها ناقصة في ذات انفسها ليس في تركيبها الا القوة التي بثت فيها . فاذا تناولها الصَّنيعُ الحاذق المتمم اضاف اليها من تعبيره ما يشعرك أنه خلق فيها الجمال النفسي فكأنها كانت في الخلقة ناقصة حتى اتمها

وهذا المعنى الذي بيناه هو الذي كان يحوم عليه الرواة والعلماء بالشعر قديماً يتحسّونه ولا يجدون بيانه وتأويله ، فترى الأصمعي مثلاً يقول في شعر لبيد : إنه طيلسان طبري . اي محكم السَّدى ولكن لا رونق له . اي فيه القوة وليس فيه الجمال ، اي فيه التركيب وليس فيه الفن

والعقل البياني كما قلنا في غير هذه الكلمة هو ثروة اللغة وبه وبأمثاله تعامل التاريخ وهو الذي يحقق فيها فنّ ألفاظها وصورها ، فهو بذلك امتدادها الزمني وانتقالها التاريخي وتخلّقها مع اهلها إنسانية بعد انسانية في زمن بعد زمن ، ولا تجديد ولا تطور إلا في هذا التخلق متى جاء من اهله والجديرين به . وهو العقل المخلوق للتفسير والتوليد وتلقي الوحي وأدائه واعتصار المعنى من كل مادة وإدارة الأسلوب على كل ما يتصل به من المعاني والآراء فينقلها من خلقها وصيغها العالية إلى خلق انسان بعينه هو هذا البقري الذي رزق البيان

والسبب الذي اوما نا اليه بقي امرؤ القيس كالميزان المنصوب في الشعر العربي يبين به الناقص والوافي . قال الباقلاني في كتابه (الإعجاز) : وقد ترى الأدباء أولاً يوازنون بشعره (يريد امرأ القيس) فلاناً وفلاناً ويضمون اشعارهم الى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه ( توفي الباقلاني سنة ٤٠٣ للهجرة ) وبين شعره في اشياء لطيفة وأمور بديعة وربما فضلوهم عليه او سوّوا بينهم وبينه او قربوا موضع تقدمه عليهم وبروزه بين ايديهم . اه

ومعنى كلامه ان امرأ القيس اصل في البلاغة ، قد مات ولا زال يخلق ، وتطورت الدنيا ولا يزال يجيء منها ، وبلغ الشعر العربي غايته ولا تزال عربية عند الغاية

وعرض الباقلاني في كتابه طويلة امرىء القيس [1] فانتقد منها ابياتاً كثيرة ليدل بذلك على ان اجود شعر وأبدعه وأفصحه وما اجمعوا على تقدمه في الصناعة والبيان هو قبيل آخر غير نظم القرآن لا يمنع من آفات البشرية ونقصها وعوارها ، فركب في ذلك رأسه ورجليه مما . . . . . فأصاب وأخطأ ، وتصنع وتهدّى ، وأنصف وتحامل . وكل ذلك لمكانة امرئ القيس في ابتكاره البياني الذي لا يمكن ان يدفع عنهُ . ولما انتقد قوله:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجّل

قال : « فقد قالوا عنى بذلك انها كبيضة خدر في صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها بل هي دائرة في افواه العرب » . ألا ليت شعري هل كان الباقلاني يسمع من افواه العرب في عصر امرئ القيس قبل أن يقول ( وبيضة خدر ) ؟

على ان الكناية عن الحبيبة (ببيضة الخدر) من أبدع الكلام واحسن ما يؤتى العقل الشعري ولو قالها اليوم شاعر في لندن او باريس بالمعنى الذي اراده امرؤ القيس — لا بما

(١) اي معلقته وهذه القصائد التي تسمى المعلقات لم تكتب وتعلق كما سنبينه في تاريخ آداب العرب

فسرها به الباقلاني — لاستبدعت من قائلها ولاصبحت مع القبلة على كل فم جميل . بل هم يمرون في بعض بيانهم من طريق هذه الكلمة فيكنون عن البيت الذي يتلاقى فيه الحبيبان ( بالعُشّ ) ، وما يتخذ العش الا للبيضة . انما عنى الشاعر العظيم ان حبيبته في نومتها وترفها ولين ماحولها ، ثم في مسّها وحرارة الشباب فيها ، ثم في رقتها وصفاء لونها وبريقها ، ثم في قيام اهلها وذويها عليها ولزومهم اياها ، ثم في حذرهم وسهرهم ، ثم في انصرافهم بجملة الحياة الى شأنها وبجملة القوة الى حياطتها والحماية عنها ، هي في كل ذلك منهم ومن نفسها كبيضة الجارح في عشه ، الا انها بيضة خدر ، ولذلك قال بعد هذا البيت :

تجاوزت احراساً اليها ومشرعاً علي حراصاً لو يسرون مقتلي

فتلك بعض معاني الكلمة وهي كما ترى ، وكذلك ينبغي ان يفسر البيان .. .. .. ..

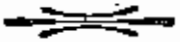

رياضيو العرب القدماء مباحث تاريخية علمية

# ابو الوفاء البوزجاني الحاسب

مع ان الغربيين قد ضربوا بسهم وافر في البحث عن مآثر علماء العرب في مختلف الفروع فان شخصيات كثيرة لعظماتنا السالفين لا تزال غامضة اذ لم يكن لها نصيب يذكر من البحث والتحليل ، والمصادر التي بين ايدينا عن تاريخ الرياضيات لا تفيض في البحث بل تكتب باختصار لا يفي بالمراد ولا يطفي غلة المنقب . والملاحظ ان المتقنين كما تقدموا في البحث عن مآثر العرب تجلى فضل العرب في السبق الى اكتشاف كثير من النظريات والابحاث الرياضية . فهم (اي العرب) سبقوا فرما ( Fermat ) في اكتشاف النظرية المسماة باسمه[1] كما انهم سبقوا ديكارت وتوماس باكر ( Descartes and Thomas Baker ) في حل بعض معادلات الدرجة الثالثة[2] . والغريب ان بعض مؤلفي الفرنجة لم يذكر المصادر التي اعتمد عليها او نقل عنها كأنهُ يدّعيها لنفسه ، فليوناردو (Leonardo of Pisa) كتب في الجبر والهندسة وقد ظهر حديثاً انهُ كان يعتمد كثيراً على التآليف العربية

(١) مجلة الكلية الاميركية : عدد مايو سنة ١٩٢٨ ص ٢٦٩ اما النظرية فهي : مجموع عددين مكعبين لا يكون عدداً مكعباً (٢) كاجوري — تاريخ الرياضيات — سنة ١٩٢٤ ، ص ١٠٧